

صورة شخصية المرأة الحجازية في قصة "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو
-دراسة بنيوية في الأنساق السردية -

The Hejazi Woman's Image in The Novel "Ghada Umm Al-Qura" By Ahmed
Reda Houhou
-A Structural Study of Narrative Systems-

مداني أحمد*
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

تاريخ الارسال 2024-09-20 تاريخ القبول 2024-12-01 تاريخ النشر 2024-12-31

ملخص:

يقوم البناء السردى على أسس، منها اللغة والحدث والزمن والمكان ثم الشخصيات، ولعل هذا العنصر الأخير يمثل القطب الذي يقوم عليه السرد في العمل القصصى والروائى، إذ أنه كما لا يمكن أن نتصور سردا دون زمن أو مكان أو لغة، كذلك لا يمكن أن ينهض عمل سردي دون شخصيات، حيث إن أي شخصيات في كل فن سردي، هي من يجري عليها زمن السرد، وهي من تملأ فضاء الأحداث، بل هي من يفعل عملية تداول الملفوظات، لأن السارد لا يمكن له أن ينهض بمهمته إلا بها، وذلك أنه من حين لآخر، يلجأ إلى تمصص شخصية من الشخصيات، وأهم شخصية استحوذت على الأعمال السردية المغاربية هي شخصية المرأة، ومن رواد السرد المغاربي أحمد رضا حوحو، صاحب قصة غادة أم القرى، التي تعتبر باكورة السرد المغاربي المعاصر، خلال فترة الثلاثينيات من القرن الماضي، حيث ركّز فيها الكاتب على إعطاء صورة لنموذج المرأة العربية، المتمثل في المرأة الحجازية إبان الحقبة الاستعمارية.

بناء على ما سبق، يمكن أن نطرح الإشكال الآتي، فيم تتمظهر صورة المرأة الحجازية في قصة غادة أم القرى؟ وما هي الأنساق السردية المتعلقة بها من منظور المنهج البنوي؟ لعل هذا الطرح يجد سبيلا إلى الإجابة من خلال صفحات هذا البحث، ويبرهن على أن هذا الإشكال جدير بالطرح.

الكلمات المفتاحية: صورة الشخصية، المنظور البنوي، وظائف الشخصية، أبعاد الشخصية، السرد.

Abstract:

Some of the basis of the narrative structure, language, event, time, space and then characters, this last element is what the narration in novels and anecdotal work would focus on.

The character who dominated, by its presence, the narrative works in the Maghreb is woman, with, in avant-garde, "Ghada Umm Al-Qura", one of the very first contemporary narrative works in the Maghreb, by Reda Houhou. In this novel, the author highlighted the model image of the Arab woman represented by the Hejazi woman during the colonial era. So, what is this image in " Ghada Umm AlQura "? And what are the narrative systems from the perspective of the structural approach? This is what we try to approach in this article.

Keywords: Character's image, Structural perspective, Character functions, Character dimensions, Narration.

1. مقدمة:

عندما يتحدث البنيويون في التحليل السردى عن الشخصية، يجعلونها تبني سبيلا لغويا، أو على الأقل يقيمون بينها وبين اللغة السردية، والمكونات السردية في الرواية علاقة وطيدة، تقوم على المساواة في عملية البناء السردى، فتكون بذلك وليدة الخطاب السردى، وهذا ما ذهب إليه رولان بارت (Roland Barthes)، حيث أكد أنّ الخطاب "ينتج الشخصيات فيما بينها فيتخذ منها له ظهيرا، فليس ذلك من أجل أن يجعلها تلعب فيما بينها أمامنا، ولكن من أجل أن تلعب معنا، فكأن شيئا من التضافر (complicité) الحميم بين الخطاب والشخصيات"¹.

من هذا التصور البنيوي عند " رولان بارت " يمكن لنا أن نتبى معالجة صورة المرأة في النص القصصى لغادة أم القرى، حيث نجعل المرأة تمثل عنصرا يساعد على تفعيل السرد، وينطق بملفوظات ذات دلالات، ينطق بها النسق وحده من حيث إنها " كنسق من الانزياحات الدلالية اتجاه هذه الترسمة، ووجود هذه الانزياحات هو الخالق للوصفات الخاصة"²، وعنصر المرأة في هاته الحال أو في أخرى تمثل أو تؤدي " وحدة ثقافية تعيش في الذاكرة الجماعية"³.

ولكي تتحلى صورة المرأة، فلا مناص من الوقوف على الصورة في النص الروائي، لأنها "وجه من أوجه الدلالة، تنحصر أهميتها في معني من المعاني، من خصوصية التأثير، إلا أنها لا تغير من طبيعة دلالاته في حد ذاته، لكنها تغير من طريقة عرضه وتجعله أكثر نفاذا، وتأثيرا في نفسية القارئ"⁴، ويحثنا هذا بتتبع صورة المرأة الحجازية عبر الدلالات التي تحدثها لغة النص السردى من تأثير في القارئ، ولولا هذا التأثير لما اهتم أي قارئ بقراءة قصة، ذلك أن هدف الصورة هو " إعادة تشكيل حالات المتلقي العاطفية، وبخاصة التعبير عما قد يصاحبه من تأثير أو لذة أو حالة انفعالية"⁵.

إذاً البحث يستقرى صورة المرأة الحجازية من خلال أدوارها التي تنهض القصة، ومن ثمّ يمكن أن تبرز لنا صورة المرأة في بلاد الحجاز من منظور بنيوي، وبهذا يتأكد لنا أن صورة أي عنصر في النص السردى لدى البنيويين " إنما يتضح من لغته فقط، أي اللغة التي تتعالى بالنص تصبح مادة الفن، عريت أولا من مشابهاها اللغة الحياة اليومية"⁶، فكل ما في لغة النص من رموز لغوية، إنما يُعتبر من الشفرات ذات الدلالة الخفية، وبالتالي يصبح النص السردى في قصة غادة أم القرى، ينطق بما يقول أو بما يمكن أن يقول، كل ذلك في ضوء رؤية البنيويين في التحليل، حينما يحاولون البحث في كيف يمكن أن يقول النص ما يقول؟

وتحليلنا لصورة المرأة في هذه القصة، يتجافى عن المنظور الكلاسيكي لعناصر السرد، بما في ذلك عنصر الشخصية الذي به نعرف صورة المرأة، هذا العنصر الفعّال في العمل السردى، الذي صار المنهج البنيوي ينظر إليه على أنه عنصر ذو وظائف متعددة ومتنوعة، وبهذه المنظور الجديد في التحليل، أصبح السرد عاملا في تكوين

خطاب نقدي بل في تكوين الأدب نفسه ، يقول تود+² ورف (TODOROV) "ينشأ الخطاب حول الأدب مع نشوء الأدب نفسه"⁷.

من هنا فإننا نستعين في هذا البحث بمقاربة بنوية، تنطلق من استنطاق النص السردي، ونترك للغة القصص، في قصة غادة أم القرى، تملّي علينا البنى الداخلية للنسق السردى، والنسق في مقدمته اللغة، التي تنطق بها ألسنة الشخصيات، وهذا ما أكدّه "رولات بارت" قائلاً: "يمكن أن يؤدي الحكى بواسطة اللغة المستعملة شفاهية كانت أو مكتوبة ... إنه حاضر أي السرد في الأسطورة والخرافة ... والملحمة والتاريخ..."⁸.

بناء على ما تقدم، فإن أفضل عنصر سردي، نقف من خلاله على صورة المرأة الحجازية هو دراسة شخصياتها، فما هي تموقعات صورة المرأة من خلال شخصيتها في قصة غادة أم القرى؟ لا ريب أن صورة، شخصيتها تتخذ تموقعات عديدة، وأول هذه التموقعات التي توضح صورة المرأة في غادة أم القرى، هي كيفية بناء شخصيتها.

2. صورة المرأة الحجازية من خلال بناء الشخصية:

2. 1. بناء الشخصية:

التحليل البنيوي يدرس الشخصية من خلال ما ينطق به نسق النص وليس بما يتحدث به سياقها، ومن ثمّ نحاول استنطاق النص الروائي في "غادة أم القرى"، من حيث ثلاثة أبعاد ، تدل عليها لغة الشخصية أو ملامحها في النسق اللغوي للسرد، وهذه الأبعاد هي البعد الجسمي والبعد النفسي والبعد الاجتماعي، تماشياً مع رأي "رولان بارت" الذي يرى الشخصية بأنها "نتاج عمل تأليفي، وكان يقصد أن هويتها موزعة في النص، عبر الأوصاف والخصائص التي تستند إلى علم يتكرر ظهوره في الحكى"⁹.

2. 1. 1. أبعاد الشخصية:

يضع السارد وصفا خاصا بكل شخصية، حيث يضع علامات مميزة لها، ليرسم ملامحها بوضوح عند القارئ، لأن القارئ بدوره قد يساهم في زيادة توضيح ملامح الشخصية، على رأي "فيليب هامون" (Philip Hamon) الذي يرى أن الشخصية في الحكى هي تركيب جديد يقوم به القارئ في إبداع النص، ويمنحه دور إعادة تركيب الشخصية"¹⁰، وقد ورد في قصة "غادة أم القرى" بعض الصفات الخارجية، المتعلقة بشخصية المرأة الفتاة، المسماة "زكية"، تلك الفتاة التي يمكن أن نطلع على ملامحها الفسيولوجية من خلال نسق النص، ومما ورد في ذلك "فتاة معتدلة القامة، رشيقة القد، تكسو جسمها سمرة، تشوبها حمرة خفيفة، ذات عينين نجلاوين حالكة السواد، شعرها الفاحم المرسله جدائله خلفها"¹¹.

ويزيد السارد هذا الوصف دقة أكثر بقوله: "فكشفت عن ثغرها الجميل وبدت ثناياها ناصعة البياض، شديدة الروعة وهي تلوح من بين شفتيها القرمزيتين"¹²، كما يضيف وصفاً آخر قائلاً: "وها هي اليوم بلغت الثامنة عشر من عمرها"¹³.

هذا الوصف الذي ينطق به النسق اللغوي في الرواية، يبين جمال زكية ويقوم بتصوير شخصية زكية، ويجلي صورتها المتمثلة في الجمال الطبيعي الذي اختصت به دون الفتيات.

2.1.2. البعد النفسي:

عند الاحتكام إلى النص السردى في قصة "غادة أم القرى" نجد لغة السارد تنطق بأوصاف تتعلق بما في داخل المرأة الحجازية، ولا ريب أنه السارد يولي لزكية اهتماما مميّزا في القصة باعتبارها البطل، والبعد النفسي كما هو معروف يركز أساسا على "تصوير الشخصية من حيث مشاعرها وعواطفها وطبائعها وسلوكها، ومواقفها من القضايا المحيطة بها"¹⁴، ومن هذا القول ندرك مدى مساعدة النسق في إيضاح أعماق ما يدور في أعماق النفس لدى الشخصية، وبالتالي رسم البناء الداخلي لصورة شخصية "غادة أم القرى" وهي زكية، وإليك النص الآتي: "اهتزت الفتاة هزة خفيفة وعلت محيّاها الفاتن مسحة من الخشوع، خشوع المؤمن القوي الإيمان، حينما يتصور عظمة ربه وجلاله، ثم توجهت نحو الكعبة وثبتت جامدة في خشوعها كأنها تمثال"¹⁵.

تظهر صورة "زكية" كشخصية امرأة مؤمنة مخبئة في صلاتها، تحافظ على إقام الصلاة، وبهذا نطق لغة السارد "حتى إذا انتهى الأذان أسرع إلى مصلاها"¹⁶، وبهذا أيضا تظهر صورتها أكثر، إذ هي فتاة متدينة وأسرّها متدينة كذلك، ولا عجب في ذلك، إذ هي فتاة تسكن أفضل بقاع الأرض، وأكثرها قداسة، ألا وهي مكة المكرمة (أم القرى)، كما أنها أعطت صورة بيّنة لما كانت عليه المرأة الحجازية التي كانت امرأة محافظة، موعلة في التدين، متشبثة بتعاليم الدين والشرعة، وذلك بحكم البلد الذي تقطنه وبحكم المجتمع الذي تعيش فيه.

كما يبين السرد نسقا نفسيا آخر، وهو شعورها اتجاه الآخر وهو ابن خالتها "جميل"، فهي تضمّر شعورا يتضح بالموّدة، يقول السارد وهو يصف لهف زكية نحوه، فقد كانت "تتبع حركاته بدقة وقلبها الفتى، يخفق بشدة وهي تحاول أن تكبت من جموحه، كأنها تخشى أن يفتضح سرها"¹⁷، ويسترسل النسق اللغوي لدى السارد في إبراز ما يدور في جوانحها، إذ يقول "تجبه حبا عنيفا طاغيا، يفوق في نظرها حب أية فتاة أخرى، وخاضعة في الوقت نفسه لتقاليد شديدة، تقاليد الأسر القديمة"¹⁸.

في هذا المقطع السردى تتجلى صورة الفتاة الحجازية التي كانت تتصارع في نفسها نزعتيّن، نزعة نحو الأمل في بثّ شعورها الرقيق نحو من تحبّ، ونزعة الحياء من هذا الإحساس اتجاه تقاليد المجتمع المحافظ.

وفي مقابل هذه الصورة لتلك المشاعر الفياضة، تبرز صورة المشاعر الحزينة لزكية الفتاة القرشية "فسرعان ما أحسّت بفراغ شديد في حياتها وأصبحت شديدة الاكتئاب"¹⁹، وبهذا تعود صورة الحزن إلى نفسها، حيث تتمنى لو يعود بها الزمن إلى مرحلة الطفولة البريئة المتحررة في نظام قيود مرحلة سنّ الرشد، ومع هذا الحزن تارة والشوق تارة أخرى، تبدو صورتها وقد طغت عليها علامات الخوف من أن يعلم أهل بيتها بهذا الشعور الذي هو مجرد شعور، إذ أن هذا الشعور سمة عار لهم ولو كان بريئا، وبهذا تظهر صورة البراءة لدى المرأة الحجازية، التي يغلب عليها الحياء، وهذا ما نلمسه من قول السارد: "تودعها في ركن حصين من صندوقها الضخم وتقف عليها فعلا محكما حتى لا يراها أحد من أفراد الأسرة فيتهمها بحب جميل أو الاهتمام بالزواج"²⁰.

كما أن من بين الملامح النفسية التي تبين صورة عادة أم القرى بمظهر السعادة، قول الراوي: "حتى أنها لم تستطع أن تحبس الصرخة التي فرت من بين شفثيها حينما سمعت والدها يصرخ بأن ابنته مخطوبة لابن خالتها جميل، وفارقت مخبأها وهي تحلق في نشوة من السرور و الابتهاج والسعادة، وشفثاها تتحركان بهذه الكلمات، إذن قد خطبني جميل، وكان مجيئه اليوم ليطلب يدي، يا للسعادة"²¹.

وبعد أن أحاطت لغة السارد بصورة الشخصية السعيدة، ينتقل النسق السردى إلى تصوير صورة أخرى "لزكية"، إذ يتم نقلها من حال الفرح إلى حال الكآبة، وذلك لما سمعت بخبر سجن "جميل"، قال الراوي: "فاستولت عليها نوبة نفسية مبرحة، وأخذت ترتجف، وتضاربت في نفسها قوتان جبارتان، الحب وتقاليد الأسرة، فهذه الأخيرة تحثها على التظاهر بعدم المبالاة وعدم الاكتراث، والمحافظة على شرف الأسرة، والحب الذي حطم قلبها وتركه يتفجر أسى وآلاما... فلم تتحمل ولم تطق صبرا، فخارت قواها وخرت مغشيا عليها..."²².
يبين لنا نسق السرد أن زكية بعد سعادتها، أخذت ترتشف طعم التعاسة، وأصابها ضراء عنيفة، حين شعرت بأن أمانيتها تبددت كهشيم تذروه الرياح، بعد أن كانت تحس بنعمة تحقق الأمنية، لذا فإن ما عاشته "زكية" كامرأة حجازية، إنما ينبئ بصورة المرأة في وسط تقاليد المجتمع الحجازي آنذاك، والذي ما هو إلا نموذج للمجتمع العربي أيضا.

- أم جميل (الخالة فاطمة):

يوضح لنا السارد صورة امرأة من طراز آخر، بعد أن أعطى لنا صورة الفتاة في الحجاز، جلّى لنا صورة الأم الحجازية التي يتضح من ثنايا السرد، أنها رمز الحب و الأمومة العطوف تجاه ابنها "جميل"، وهي في غمرة أمومتها الحانية، أصابها الحزن الشديد، حين علمت باعتقال ابنها، ويزيد النسق السردى توضيحا لهذه الحال "كان هناك مخلوق آخر لا يقل حزنا وألما عن زكية، وما ذلك المخلوق إلا والدته جميل التي كاد أن يقتلها النبأ ويقضي عليها"²³.

بعد صورة الأم الحزينة، تظهر صورة الأم المكافحة التي تفعل المستحيل من أجل ابنها المسجون، الرابض وراء القضبان، وتلك القوة المكافحة، إنما استمدتها من قوة حنان وعطف الأم الرؤوم نحو ابنها المظلوم، لكن ربما في هذا النسق تزوج صورة المرأة المكافحة مع صورة المرأة التي أصابها العجز، عندما سُدت أمامها أبواب إنقاذ ابنها مما أصابه، نلاحظ ذلك في المقطع السردى الآتي: "انطرحت العجوز على فراشها، وغدت تبكي بدموع سخية، فلم يبق على جلد ابنها سوى يومين فقط، وماذا عساها أن تفعل وقد سدت جميع الأبواب في وجهها"²⁴.
بعد هذا الأسى الذي اخترق قلب شخصية الخالة "فاطمة"، أخذ الأمل يسري في قلبها، وذلك حينما استطاعت بعد جهد أن تلتقي بالملك ابن سعود وبثت له شكواها، وهذا ما يدل عليه قول السارد: "صاحت المرأة بأعلى صوتها والبكاء يخنقها، وقد بدا وجهها مصفرا شاحبا، ولوحت بذراعيها الهزيلتين في الهواء، ولدي ولدي يامولاي، أنقذوا ولدي المظلوم"²⁵، وبعد هذا تبدو فاطمة بصورة المرأة المطمئنة، "هادئة الأعصاب على خلاف

عادتها في كل يوم²⁶، بسبب حسن ظنها بعدالة الملك ابن سعود وكرمه وصدق وعده في مساعدتها، ولما سمعت عن عدله الذي يأوي إليه كل مظلوم .

3.1.2. البعد الاجتماعي:

ينطلق بحثنا دائما من أسس المنهج البنيوي الذي ينادي بتحكيم النسق النصي في الرواية ، لأجل الوصول إلى الأنساق المختلفة التي تفضي بنا إلى الوقوف على البعد الاجتماعي من خلال ما نطق به النص ، وليس من خلال ما يدل عليه محيط النص الخارجي، ومن الأبعاد التي أفرزها النص هو البعد الاجتماعي لشخصية "غادة أم القرى"، الذي يهتم بتصوير الشخصية من حيث مركزها الاجتماعي، وثقافتها وميولها والوسط الذي تتحرك فيه".²⁷

والمركز الاجتماعي والثقافي إنما يتضح من خلال أقوال الشخصيات ذاتها في الرواية ، والدالة على أفعال ومواقف الشخصية، ونبقى دائما مع الشخصية الأساس في قصة غادة أم القرى وهي "زكية"، باعتبارها بطل القصة، وللوقوف على بعدها الاجتماعي نتأمل هذا المقطع السردى "كانت زكية منهمكة في أعمالها اليدوية يحوطها سكون شامل عميق، فلا ترى حولها حركة عدا حركات إبرتها وهي تنتقل بخفة فوق متن قطعة القماش الحريرية البيضاء المثبتة على قوائم منسجها الخشبي"²⁸، تنطق لغة هذا المقطع بدلالة اجتماعية وهي أن زكية تزاوّل عادة اجتماعية صار كالعرف بين أفراد المجتمع العربي وهو الخياطة والنسيج، بل إنها من بين اللواتي يتقن هذه الصنعة بل إنها ذات تفنن بها.

مقابل هذا الانهماك في صنعة الخياطة ، نجدها في الوقت نفسه تعيش واقعا اجتماعيا يرصف تحت وطأة عادات قديمة ، ما أنزل الله بها من سلطان، وتجعل مثيلاتها من نساء الحجاز يعيشن ضياعا في الحقوق، ونجد هذا في هذا المقطع السردى: "شعرت الفتاة بوطأة الحجاب لأول مرة، وأحست بعبء التقليد ولاسيما على الفتيات، ويا ويل الشقية منهن التي يطاء قلبها الحب، فإنها تعيش معذبة تعيسة"²⁹، وبهذا تتبين لنا صورة المرأة العربية في بيئة الحجاز، ببعدها الاجتماعي العتيق الحريص على الالتزام بسنن الآباء، وعاداتهم المتحكمة في حياتهم اليومية، تلك العادات التي حرمت الفتاة العربية في سائر الوطن العربي -خلال تلك الفترة- من حقوقها الأساسية كالتعليم وغيره.

أما شخصية أم جميل (الخالة فاطمة) فيظهر بعدها الاجتماعي المتمثل في معاناتها الأليمة، أولا في تربية ابنها جميل الذي هو في كفالة زوج خالته "سليمان خليل"، وثانيا فقرها وواقعها الاجتماعي التعيس الذي أعجزها عن تحرير ابنها من الاعتقال ، ومما يدل على ذلك قول السارد: "وغدت تجري من مكان إلى مكان ، لتستجد بسراة القوم وذوي الجاه والسطوة ولكن من يلتفت إليها أو يستمع إلى أنات قلبها الجريح ، أو يرثي لأمومتها المعذبة"³⁰ وهكذا فإن السارد قام بإبراز هذه الأبعاد من خلال السرد، كما قام بإبراز الوظائف التي من خلالها نستطيع معرفة الوظائف التي تنهض بها الشخصيات، فما هي وظائف الشخصية في قصة غادة أم القرى؟

3. وظائف الشخصية:

تتضح صورة المرأة في القصة ضمن ما تقدمه من وظائف من خلال أفعالها، بهذا تبرز صورتها جليا في محتوى المتن القصصي، ووظائف الشخصية تمثل الأساس الذي تبنى عليه الأحداث، فهي "تمثل وحدة قياسية تشبه المتر، يمكن تطبيقها على جميع الحكايات لتحديد العلاقات فيما بينها"³¹، كما أن وظائف الشخصية من خلال "تبنى الشخصية اطرادا زمن القراءة، من خلال الأفعال التي تقوم بها أو الصفات التي تصف بها نفسها، أو تستند لها من شخصيات أخرى أو من طرف السارد".³²

وكما يقول رولان بارت إن "الخطاب ينتج الشخصيات، فيتخذ منها ظهيرا، فكأن هناك شيئا من التضافر الحميم بين الشخصيات والخطاب"³³، فإننا نحتكم إلى خطابها أو خطاب السارد، وهذا ما نلاحظه من هذا المقطع السردى "إذن هذا هو الحب، فأنا أحب جميل، أجل إني أحبه وتكلم قلبها بلغته الخاصة، ودقت دقاته السريعة الشديدة علامة الإيجاب، وهنا فقط فهمت زكية لغة القلب التي كانت تجهلها طيلة عمرها"³⁴، أما الحالة فاطمة فتظهر صورتها بوظيفة المرأة المسؤولة على تنشئة ابنها بعد أن توفي زوجها في حروب ابن سعود مع النمو فصارت أرملة، فأعطت نِعَم الصورة للمرأة الحجازية التي ضحت بشبابها في سبيل تربية ابنها "جميل" فكانت صورة لرمز الأم العطوف والحنون، فقد كابدت من الحزن والآلام فصارت المرأة النموذجية للتضحية والصمود في وجه الظروف الاجتماعية القاسية، إن شخصية المرأة في "عادة أم القرى" تدل على نوع من الشخصية التي أشار إليها نقاد السرد الأدبي، وهي الشخصية الإيجابية التي تعرف بأنها "مغامرة شجاعة معقدة، بكل الدلالات التي يوحي بها لفظ العقدة، والتي تكره وتحب وتصعد وتهبط، وتؤمن وتكفر، وتفعل الخير كما تفعل الشر، مؤثرا في سوائها تأثيرا واسعا".³⁵

فعلا إنها شخصية إيجابية، حيث أعطت أفضل المثل لصورة المرأة، وكيف يجب أن تكونن فقد انطبقت عليها جميع صفات الشخصية الإيجابية، فقد استطاعت أن تكون محور اهتمام جملة من الشخصيات، وقد كانت مؤثرة أيضا على عكس الشخصية السلبية التي "لا يستطيع أن تؤثر، كما لا تستطيع أن تتأثر"³⁶.

4. أشكال تقديم الشخصية في قصة عادة أم القرى:

يقصد بها الطريقة التي يقدم بها الروائي أو القاص شخصية ما في النص السردى وهذه الأشكال تتنوع في قصة أم القرى، وبما أن الشخصية "كائن خيالي تبنى من خلال جمل تتلفظ بها هي أو يتلفظ بها عنها: فإن لها ملفوظات وصفية تنحصر فيما تقدمه الشخصية من صفات عن ذاته أو ما يقدمه السارد عنها، أو ما تعرضه شخصيات الأخرى عنها من أوصاف.

اعتمادا على ما تقدم فإن شخصية المرأة الحجازية، يمكن تقديمها وفق شكلين هما:

— صيغة الوصف (الملفوظات الوصفية)

— صيغة الأفعال (الملفوظات السردية)

1.4. صيغة الوصف (الملفوظات الوصفية):

1.1.4 التقديم المباشر: للتطبيق على هذه الصيغة ، نأخذ هذا المقطع من قصة " غادة أم القرى " ورفع الشاب بصره إلى الشباك، وابتسمت زكية من وراء مخيئها، وقفل هذا راجعا من حيث أتى، والفتاة تودعه بنظرائها من بعد، وهي تردّد ما بين شفيتها اسمه، كأنها تتلو تسبيحة مقدسة ... جميل، جميل يا حبيبي متى أكون لك فأستقبلك بحريتي من دون أن يؤاخذنا على ذلك أحد، متى يا حبيبي... متى

أقف على خطوة منك ، ولا أستطيع أن أريك وجهي، ولا أسمعك صوتي وأنا المتلهفة الولي ³⁷ الشخصية المتكلمة في هذا النص السردية، هي "زكية" التي أخذت دور الشخصية الرئيسية التي تصف حالة الاضطراب التي كانت عليها، وهي مرتعدة الفرائص، خافقة القلب، لا تعرف نفسها هدوءا حين تذكر ابن خالتها جميل، وهي بهذا تبدو مرهفة للشعور نابضة الإحساس، نقودها عواطفها إلى آمال تريد تحقيقها، وهي أن تصبر زوجاً له في يوما ما.

ومن هنا تبدو صورتها، صورة الفتاة المعذبة بين دافعين، دافع الطمع والرغبة في تحقيق الأحلام السعيدة التي تراودها، ودافع العجز وخيبة الأمل في الفوز بضالتها المنشودة، وهو الزواج من جميل، كل ذلك بسبب العادات والأعراف الاجتماعية المتحكمة في حياة فتيان وفتيات البيئة الحجازية .

نلمح من هذا، أن تقدم الشخصية لذاتها تصبح كائنا متلفظا عن ذاتها، تلفظا شاملا لكل الصفات المتعلقة بالموقف، فقد فتح المجال للحديث عن ذاته، وتجنب الحديث عما سواها إلا ما كان من أشياء للضرورة السردية "لذلك نجد أن الكائن المتلفظ في هذا المقام، وقد تخلّى عن وظيفة الانفتاح عن عالم التلفظ ، فلم يبق أمامه من هدف يسعى إلى تحقيقه خلال فعل التلفظ سوى تركزه حول ذاته ، ولم يبق له من دور يؤديه، سوى أسطورة وجوده الفردي المفرد هو ذاته"³⁸.

1.2.4. التقديم غير المباشر: هذا الضرب من التقسيم له نوعان ، نوع يتناول فيه السارد تقديم الشخصية ، وقسم تقوم فيه شخصية أخرى بتقديم الشخصية.

أولا: تقديم السارد للشخصية:

في هذا القسم من التقديم يضطلع السارد بتقديم معلومات عن الشخصية، فتكون الشخصية لا تتكلم عن نفسها، بل هناك من ينوب عنها في ذكر التفاصيل المتعلقة عن ذاتها، وهذا النوع كثير في قصة غادة أم القرى ، بحيث يستطيع القارئ أن يتنبأ بصفات الشخصية، ومن جملة المقطع السردية ، نختار هذا المقطع " غدت الفتاة تنتقل في جميع أنحاء الغرفة كأنها تبحث عن شيء ضائع ، ثم هالكت على إحدى الأرائك على دكة الروسن، وطفقت تحتلس النظر من وراء شبابيكها الضيقة المطلّة على الأبطح، الشارع العام لمدينة أم القرى العاصمة الحجازية، وهي تنفرج على المارة وهم ينهبون الأرض بخطواتهم السريعة في طريقتهم إلى الحرم لأداء صلاة العصر مع الجماعة.... واهتزت الفتاة هزة خفيفة، وعلت محيّاها الفاتن مسحة من الخشوع.... خشوع المؤمن القوي

الإيمان، حينما يتصور عظمة ربه وجلاله، ثم توجهت نحو الكعبة وثبتت جامدة في خشوعها كأنها تمثال وغدت شفاتها تتحركان بسرعة مرددة صلوات عديدة تتخللها زفرات مقتضبة ما بين آن وآخر، حتى إذا ما انتهى الأذان أسرع إلى مصلاها وتوجهت إلى ربها تبته شكواها وترجوه تحقيق آمالها....³⁹ .

في هذا المقطع تبين أنه لا يمكن للقارئ أن يحيط بمعلومات الخاصة بالشخصية إلا بواسطة السارد، بحيث يمكن له أن يعرف صورة الفتاة الحجازية بأنها امرأة متدينة تحافظ على إقامة شعائر دينها التي من بينها الصلاة، إذ هي تسارع إليها في أول وقتها، كما أنها فتاة مؤمنة خالصة الإيمان، لأنها تشكو بثها وحزنها إلى خالقها، راجية منه أن يحقق أمنيتها بالزواج من ابن خالتها "جميل".

ثانياً: تقديم الشخصية من قبل شخصية أخرى:

ومثال ذلك في قصة "غادة أم القرى"، وعلى حين غرة فرت من بين شفتيها الورديتين صرخة صغيرة مكتومة واعتدلت في جلستها، انتباهها وأخذت ترمق بنظرات متلهفة، شاباً في العقد الثالث من عمره ممتلىء الجسم شديدة السمرة، يعلو عينييه السوداوين حاجبان كثيفان، يجلي وجهه شارب خفيف، وكان هذا الشاب الذي أخذ بمجامع قلب زكية يسعى في الشارع على عجل في اتجاه الناحية العليا للأبطح، واستطاعت الفتاة أن تنفذ بصرها الحاد إلى جميع ملامحه رغم أن جزءاً منها كان متوارياً تحت عباءته الخفيفة السوداء التي وضعها على رأسه، لتخفف عنه وطأة لفح أشعة الشمس الحارة⁴⁰ .

على الرغم من أن السارد تولّى وصف الشخصية إلا أنه جعل وصفه معتمداً على ما شاهدته شخصية أخرى من أوصاف وهي شخصية زكية، وبهذا ظهرت صورة المرأة من خلال هذا الوصف حيث تبين من وصفها، أنه يمثل صورة المرأة العربية التي تختلس النظر والوصف إلى من تتمناه زوجاً، وهي وفي الوقت ذاته تخاف أن يفتضح أمرها، فاضطرت إلى سرقة النظرات والاكتفاء بها فقط.

مما يلاحظ على تقديم صورة شخصية المرأة في قصة غادة أم القرى، أن الكاتب بوصفه سارداً في غالب الأحيان، ليس له دور في المشاركة في تفعيل الأحداث المتصلة بحياة الشخصيات، وبذلك لا يسوق الكاتب أفكاره وقضاياها منفصلة عن محيطها الحيوي والأحداث، ولا يمكن أن تتصور أحداثاً تقع دون أن يشارك في أحداثها شخص أو أشخاص⁴¹ .

بعد هذه الأنواع من التقدم للشخصية، من خلال النص السرد في القصة، نستطيع القول إن الشخصية ساعدت على استكناه صورة المرأة، لكن يمكن القول أيضاً إن السارد سلط السرد في معظمه على المرأة التي يسوغ لنا، وسمها بالشخصية البطل، حيث صارت صورة المرأة متميزة عن صورة الشخصيات الأخرى في كل القصة، والسارد في هذا كله، يبدو أنه اتخذ معيارين سرديين كي تصير صورة المرأة لها ميزة متفردة، هما المعيار الكمي والمعياري النوعي.

أ- المعيار الكمي:

المراد به كثرة المعلومات المقدمة عن شخصية ما، مقارنة مع قلة المعلومات المقدمة عن الشخصيات الأخرى، وفي قصة "عادة أم القرى"، نجد المعلومات المقدمة عن الفتاة زكية تستحوذ على أكبر قسط من الوصف، مما يساعد على انفتاح صورتها أكثر، ومن ذلك هذا المقطع "وانعكس على صفحة المرأة الصقيلة، خيال فتاة معتدلة القامة رشيقة القد، تكسو جسمها سمرة، تشوبها حمرة خفيفة، ذات عينين نجلاوين حالكة السواد"⁴².

هكذا تبدو المرأة الحجازية بصورة المرأة التي تكتشف نفسها، وتجاوز ذاتها في آن واحد، أنها تلك المرأة المعذبة، تلك الحرية التي تجعل المرأة تخرج عن صمتها، إنها تلك المرأة العربية، التي تعكس صورة المرأة المعذبة التي تتميز بسمات الجمال، والباحثة عن من يعبأ بها، وبقيمة جمالها الخلقي، وبهذا فشخصيتها فاعلة، وحولها الأحداث، فهي صارت عنصرا مشاركا في السرد، ولولا هذه لما كانت وصفها الكاتب، فالشخصية "كل مشارك في أحداث الرواية سلبيا أو إيجابيا، أما من لا يشارك في الحدث، لا ينتمي إلى شخصيات بل يعد جزءا من الوصف"⁴³.

ب- المعيار النوعي:

يعطي هذا المعيار أهمية للشخصية من ناحية مستوى صيغة الأفعال والأشكال، أو ظهورها من خلال ظاهرة التفريد، التي يقصد بها تخصيص الشخصية الفاعلة بصفات دون الشخصيات الأخرى، حيث تكون له صفات خالصة دون غيره، وفي هذه القصة تنفرد شخصية زكية، باعتبارها نموذجا لصورة المرأة، بصفات تظهر من خلال أفعالها، وهذه الأفعال تنبئ عن خصال تتميز بها، من ذلك هذا المقطع السردى "كانت زكية منهمكة في أعمالها اليدوية، يحوطها سكون شامل عميق، فلا ترى حولها حركة عدا حركات إبرتها وهي تنتقل بخفة فوق متن قطعة القماش الحريرية البيضاء، المثبتة على قوائم منسجها الخشبي، وهي تنشر وراءها أزهارا نضرة مختلفة الألوان والأشكال.

وكانت الفتاة تقود إبرتها بمهارة وخفة، وهي منكبة على منسج التطريز بعطف وحنان، عطف الأم الحنون على فلذة كبدها، ثم ما لبثت أن رفعت بصرها، وألفت نظرة سريعة على المنبه الموضوع أمامها فوق رف خشبي صغير، وهتفت بصوت خافت كاد أن يكون همسا، ولكنه كشف رغم خفته عن نبرة موسيقية عذبة، الساعة التاسعة يا الله قرب العصر"⁴⁴.

تظهر صورة المرأة في هذا المقطع من خلال صفاتها التي تظهر من خلال أفعالها، إذ جعل السارد صفات هذه الشخصية تتجلى أكثر بواسطة الأفعال، مثل قوله "كانت منهمكة ... فلا ترى حولها حركة.. وهي تنتقل بخفة ... وهي تنشر وراءها أزهارا نضرة.... كانت الفتاة تقود إبرتها بمهارة وهي منكبة على منسج التطريز..... ثم ما لبثت أن رفعت بصرها وألفت نظرة سريعة على المنبه ... وهتفت بصوت خافت كاد أن يكون همسا...."⁴⁵.

من هذه العبارات تبدو صورة المرأة حاضرة، من خلال ما قامت به من أفعال، فتصير بذلك، لها من الخصائص ما يجعلها منفردة في القصة، ومن تلك الخصائص أن تظهر بمظهر المرأة الحجازية التي تحيا وسط البيت لا تعرف إلا

بما يتعلق به من أعمال، ومنها الغزل والنسيج، إضافة إلى ظهورها بمظهر الناسكة المتعبدة التي تنتظر الصلاة في جوّ خشوع وإخبات، من وقت إلى آخر.

وهذه الأفعال الواردة في هذا النص السردي، تعكس أيضا صورة غالبية سواد نساء الحجاز وسائر أقطار البلاد العربية آنذاك، إذ كنّ لا يغادرن البيت، ويقمن بما يتطلبه من لوازم يومية، مع الالتزام بتعاليم الدين الحنيف، وتقاليده المجتمع العربي العريق.

5. خاتمة:

من خلال ما سبق يمكن أن نصل إلى بعض النتائج:

1- قصة عادة أم القرى، من بين القصص الرائدة في السرد المغاربي التي حاولت تصوير نموذج شخصية للمرأة العربية في بلاد الحجاز.

2- كشفت أنساق السرد في قصة عادة أم القرى عن واقع المرأة الحجازية والصور المتعددة لشخصيتها، في فترة زمنية معينة، وهي فترة النصف الأول من القرن العشرين.

3- تبدو صورة شخصية المرأة الحجازية نموذجا للكبت الذي كان يغلب على معظم قلوب نساء البلاد العربية.

4- صورة المرأة في قصة عادة أم القرى، توضحها وظائف شخصية المرأة، بحيث يبيّن تلك الوظائف الحالة الدينية والفكرية والاجتماعية لبيئة الحجاز.

5- تنوعت صورة شخصية المرأة في هذه القصة، من خلال توفر أبعاد ثلاثة هي: البعد الفكري البعد و البعد الاجتماعي.

6- يأخذ السرد في قصة عادة أم القرى أهمية، تتمثل في أنه استطاع أن ينقل للمتلقي صورة المرأة الحجازية، حيث عكس بطريقة فنية حياة المرأة الحجازية خاصة، والمرأة العربية عامة.

7- اتضح من خلال النسق السردى، أن صورة المرأة الحجازية تتموقع في شخصية امرأة ذات مظهرين، مظهر نفس راضية مستسلمة للواقع المرّ، كشخصية "زكية" التي ظلّت في حالة كبت لطموحها حتى أتاها أجلها، ومظهر المقاومة لتلك الظروف القاسية وعوائق الحياة الاجتماعية، كشخصية الخالة فاطمة، التي كانت نموذجا للمرأة العربية الصامدة في وجه العوائق والصعاب.

8- استطاع النسق اللغوي للسرد في قصة "عادة أم القرى"، أن يظهر مدى فعالية المنهج البنيوي، حيث يترك النسق هو الذي ينطق بما في داخل النص من أفكار، وبهذا ثبتت نجاعة فكرة تلاحم الخطاب اللغوي في السرد مع الشخصيات، لتفعيل عملية الحكى في العمل الروائي.

التهميش:

¹ R. barthes, *le degré zéro de l'écriture, seuil, paris, 1972, P 154.*

- ² - سعيد بن كراد، سيميولوجية الشخصية السردية، دار مجدولاي، عمان، ط1، الأردن، 2003، ص14.
- ³ - المرجع نفسه، ص14.
- ⁴ - عبد القادر عميش، شعرية الخطاب السردية، سردية الخير، دار الأهمية للنشر، ط1، 2011، ص31
- ⁵ - تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال النقدي العربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 1983، ص170.
- ⁶ - كمال أبو ديب، في الشعرية، مؤسسة الأبحاث، بيروت، ط1، 1987، ص127.
- ⁷ - تودوروف، الشعرية، تر: شكري المبعوث ورجاء سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1990، ص10
- ⁸ - سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة السرد العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1997، ص19.
- ⁹ - حميد الحمداني، بنية النص السردية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2000، ص51/50.
- ¹⁰ - المرجع نفسه، ص218.
- ¹¹ - أحمد رضا حوحو، عاد أم القرى، ص14/13.
- ¹² - المصدر نفسه، ص14.
- ¹³ - المصدر نفسه، ص19.
- ¹⁴ - شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1998، ص49.
- ¹⁵ - غادة أم القرى، ص15.
- ¹⁶ - المصدر نفسه، ص15.
- ¹⁷ - غادة أم القرى، ص16.
- ¹⁸ - المصدر نفسه، ص18.
- ¹⁹ - المصدر نفسه، ص19.
- ²⁰ - المصدر نفسه، ص25.
- ²¹ - المصدر نفسه، ص35.
- ²² - المصدر نفسه، ص43/42.
- ²³ - المصدر نفسه، ص45.
- ²⁴ - المصدر نفسه، ص53.
- ²⁵ - المصدر نفسه، ص55.
- ²⁶ - المصدر نفسه، ص57.
- ²⁷ - شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص48.
- ²⁸ - غادة أم القرى، ص13.
- ²⁹ - المصدر نفسه، ص18/17.
- ³⁰ - المصدر نفسه، ص45.
- ³¹ - صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، ص63.
- ³² - محمد بوعزة، تحليل النص السردية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2010، ص40.

- ³³ - في نظرية الرواية، ص 119.
- ³⁴ - غادة أم القرى، ص 20.
- ³⁵ - في نظرية الرواية، ص 132.
- ³⁶ - المرجع نفسه ص 132.
- ³⁷ - غادة أم القرى، ص 27.
- ³⁸ - عبد الواسع الحميري، ما الخطاب وكيف نحلله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 2009، ص 230-231.
- ³⁹ - غادة أم القرى، ص 24-25.
- ⁴⁰ - المصدر نفسه، ص 24-25.
- ⁴¹ - عبد القادر أبو شريفة، حسن لافي قزق، مدخل الى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، ناشرون، عمان، ط 4، 2008، ص 124.
- ⁴² - غادة أم القرى، ص 23.
- ⁴³ - عبد المنعم زكريا، القاضي، البنية السردية في الرواية، الناشر عن الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، 2009، ص 61.
- ⁴⁴ - غادة أم القرى، ص 23.
- ⁴⁵ - المصدر نفسه، ص 24.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع باللغة العربية:

- 1- أحمد حوحو، غادة أم القرى، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د ط، 2007.
- 2- تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال النقدي الغربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط 1، 1983.
- 3- سعيد بن كراد، سيمولوجية الشخصيات السردية، دار مجدولاي عمان، ط 1، الأردن، 2003.
- 4- عبد القادر عميش، شعرية الخطاب السردية، سردية الخير، دار الأملية للنشر، ط 1، 2011.
- 5- كمال أبوديب، الشعرية، مؤسسة الأبحاث، بروق، ط 1، 1987.
- 6- سعيد لقيطين، الكلام والخير، مقدمة السرد العربي، المركز الثقافي العربي، ط 2، بيروت، 1997.
- 7- عبد الواسع الحميري، ما الخطاب وكيف نحلله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 2009.
- 8- عبد القادر أبو شريفة، حسن لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر ناشرون، عمان، ط 4، 2008.
- 9- عبد المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، الناشر عن الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، 2009.
- 10- محمد بوعزة، تحليل النص السردية، تقنيات ومفاهيم، دار الأمان الرباط، ط 2، 2010.

- 11- حميد الحمداي، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط 3، 2000.
- 12- شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط ، 1998.

- 13- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1998.

المراجع المترجمة:

- 14- تودوروف، الشعرية، ترجمة شكري المبعوث ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء، ط 3، 1990.

المراجع الأجنبية:

- 15- R. Barthes, *le degré zéro de l'écriture, seuil, paris, 1972.*